الشخصية المتعددة

(٢)

ذكرنا في الجزء الماضي اشخاصاً ظهرت في كلٍّ منهم ذاتيتان الواحدة مخالفة للاخرى . احداها عادية مألوفة والاخرى شاذة نادرة . وقد ذكر علماء الفلسفة العقلية وعلماء الامراض العصبية حوادث كثيرة من هذا القبيل فرأينا ان نذكر بعضاً منها ايضاً وبعض ما يصيب الوسطاء الذين ينامون بالاستهواء قبل الكلام على النتائج الكلية التي يمكن استنتاجها منها

من هذا القبيل ما ذكرهُ المسيو جانه الفيلسوف الفرنسوي عن امرأة فلاحة اسمها ليوني قال : — ان حياة هذه المرأة اشبه بقصة خرافية منها بحادثة تاريخية صحيحة فانها اصيبت بالمشي النومي (سمنمبولزم) منذ كان عمرها ثلاث سنوات . ونومها كثيرون من ممارسي صناعة التنويم منذ كان عمرها ١٦ سنة وقد صار عمرها الآن ٤٥ سنة . ففي حالتها الطبيعية تكون كأنها بين اهلها الفقراء وفي حالتها الثانية تكون كأنها في بيوت الاغنياء والاطباء . والآن اذا كانت في حالتها الطبيعية رأيتها ساكنة رزينة وديعة تلاطف كل احد . والذي ينظر اليها لا يرى فيها شيئاً مما تصير اليه في حالتها الثانية . وحالما تستهوى وتنوَّم تتغير كل اطوارها فانها تصير مزاحة كثيرة الحركة والهذر تقابل من يكلمها بالنكات والمزح القارص وتقلِّد الذين يرونها متهكمة عليهم وتخترع الاقاصيص عنهم . وتقوى ذاكرتها حينئذٍ الى حد عجيب فتذكر اموراً كثيرة لا تتذكر شيئاً منها وهي في حالتها الطبيعية . وتأبى وهي في حالة الاستهواء او الغيبوبة ان تسمَّى باسم ليوني وتصرُّ على ان تدعى ليونتين او ليوني الثانية وتنسب كل ما يقع بها حينئذٍ من التغيُّر الى ما اصابها وهي تمشي في نومها . اما حالتها الطبيعية فهي حالة اليقظة . وفي حالتها الطبيعية تعرف ان لها زوجاً واولاداً ولكن اذا اصابتها الحالة الثانية بقيت تعترف باولادها ولكنها تنكر زوجها . سبب ذلك ان طبيباً استهواها وهي تلد ولدها الاول لكي يسهِّل عليها الولادة فصارت في حالة الاستهواء تبقى حاسبة ان لها اولاداً . ثم صارت تنتقل بالاستهواء الى حالة ثالثة فتصير مكوتة عبوسة بطيئة

الحركة كثيرة التأني في كلامها . وتقول حينئذٍ « اني لست التي كانت في الحالة الاولى فان تلك امرأة حافلة ولكنها بليدة وهي ليست مني ولا انا منها » وتقول ايضاً « اني لست ليوني الثانية واي شيء ترونهُ فيَّ مما في تلك المجنونة »

فليوني الاولى لا تعرف الاَّ نفسها . وليوني الثانية تعرف نفسها وتعرف ليوني الاولى . وليوني الثالثة تعرف نفسها وتعرف ايضاً ليوني الاولى وليوني الثانية وتميز كل واحدة عن الاخرى . وشعور ليوني الاولى نظري . وشعور ليوني الثانية نظري وسمعي . وشعور ليوني الثالثة نظري وسمعي ولمسي . وقد ظن الاستاذ جانه اولاً انهُ هو الذي اكتشف ليوني الثالثة ثم علم انها كثيراً ما كانت تعاب بتلك الحالة قبلما رآها وقد اوصلها اليها رجل نوَّمها وبالغ في تنويمها بعد ما بلغت حالتها الثانية وسماها حينئذٍ ليونور

وذكر المسيو بورو والمسيو بيرو في كتابهما « تغيرات الشخصية » رجلاً اسمهُ لويس اقام مدداً مختلفة في الجيش وفي المستشفيات وفي الاصلاحيات وقد اصيب بالصرع وفقد الشعور والتيبُّس في ازمنة وامكنة مختلفة . ولما كان عمرهُ ١٨ سنة كان في اصلاحية زراعية فلدغتهُ افعى شلَّت رجليهِ عن الحركة ثلاث سنوات وكان في غضونها ظريفاً اديباً مجتهداً . ثم اعترتهُ نوبة شديدة بغتة فزال شلل رجليهِ وزالت معهُ ذاكرتهُ لكل ما حدث لهُ في تلك السنوات وتغيرت اطوارهُ فصار نهماً محبًّا للخصام شكس الاخلاق يسرق ما مع رفاقهِ من النقود وما عندهم من الخمر . ثم فرَّ من الاصلاحية ولما اقتفوا اثرهُ وقبضوا عليهِ حاول التخلص منهم بكل جهدهِ . ولما رآهُ الدكتوران المشار اليهما آنفاً كان شقهُ الايمن مفلوجاً لا يحس واخلاقهُ شكسة الى الدرجة القصوى . وانتقل شللهُ الى الشق الايسر باستعمال المعادن وزال من ذهنهِ كل تاريخهِ في الحالة السابقة وانتقل الى الحالة التي كان فيها قبلها وتغيرت اطوارهُ واخلاقهُ كلها . ثم ظهر ان كل ما يعتريهِ من تغير الحالات يزول باستعمال المعادن والمغنطيس والكهربائية والحمامات . وكل حالة من الحالات السابقة يمكن اعادتها اليهِ بالاستهواء . وصارت الحالات السابقة تنتابهُ بالتوالي كلما اصابتهُ نوبة صرع . وكلما صار في حالة من الحالات نسي كثيراً مما كان بهِ في الحالات الاخرى كأن بين حالتهِ الجسدية وحالتهِ العقلية ارتباطاً تامًّا لا ينفك حتى اذا تغيرت الواحدة تغيرت الاخرى ايضاً

وذكر الدكتور ازام من اطباء بوردو حادثة امرأة اسمها فنيد جعلت تنتقل من حالتها الطبيعية الى حالة اخرى وعمرها اربع عشرة سنة فتتغير كل اطوارها وتبقى وهي في الحالة الثانية تتذكر ما كانت به وهي في الحالة الاولى ولكنها اذا عادت الى الحالة الاولى نسيت حالتها الثانية . وكانت حالتها الثانية ارقى من الاولى من كل وجه . ولما صار عمرها ٤٤ سنة صارت تقضي اكثر ايامها وهي في الحالة الثانية وكان نسيانها لحالتها الثانية وهي في الحالة الاولى يغيظها جداً ولاسيما اذا انتقلت فجأة من الحالة الثانية الى الاولى كما حدث مرة وهي سائرة في جنازة احدى صديقاتها فانها انتقلت بغتة من الحالة الثانية الى الاولى فاسقط في يدها وتوجعت لانها لم تستطع ان تعلم في جنازة مَن هي سائرة . وجلست مرة وهي في الحالة الثانية ثم لما انتقلت الى الحالة الاولى غاب عنها كيف حدث لها الجبن . وقد افضى بها غيظها من نفسها مرة الى محاولة الانتحار

وذكر الدكتور ريجر رجلاً مصاباً بالصرع كان في حالته الطبيعية كسائر الناس واذا اعترته الحالة الثانية خرج من بيته وقضى بضعة اسابيع مع اللصوص وقطاع الطرق . ثم يقبض عليه ويحاكم ويسجن ولكن اذا انتقل حينئذٍ الى الحالة الاولى نسي كل ما فعل ولم يفهم لماذا حوكم وسجن ولم يمكن اقناعهُ بانهُ فعل ما فعل

ومن رأي المسيو جانه ان ما يصيب الانسان في حالة الاستهواء من نسيان بعض الحروف او بعض الاسماء نسياناً وقتياً يصيبهُ في الحالات المشار اليها آنفاً بمقدار اعظم وعلى صورة اتم فان فقد الذاكرة او توقف فعلها يكون هنا حالة مرضية وهو سبب تغير الشخصية لان المصاب يشعر في الحالة الواحدة بغير ما يشعر بهِ في الحالة الاخرى فكأنهُ صار شخصين مختلفين هذا اذا نسي وهو في الحالة الواحدة كل ما كان عليهِ وهو في الحالة الاخرى . واذا انتقل الى حالة ثالثة كالمرأة ليوتي صار كأنهُ ثلاثة اشخاص مختلفة . وقد قرر الاستاذ جانه انهُ اذا زال شعور انسان في حالة هستيرية زال معهُ كل تذكر لما كان يشعر بهِ قبلها فاذا توقفت حاسة السمع فقد المصاب تذكر الاصوات فاما ان يتعذر عليهِ النطق تماماً واما ان يصير يتكلم بالاشارات . و باصوات لا معنى لها . واذا توقفت حاسة الحركة صار المصاب يقصد تحريك اعضائهِ مشيراً الى ذلك اشارة كأن عقلهُ يأمر بتحريكها

وهي لا تطيعهُ ويحاول الكلام فيراه متعذراً. ثم اذا زالت هذه الحالة وانتقل الى الحالة الاولى عادت الذاكرة الى حالها

ومن رأي الفيلسوف لوك ان كل تغير في الذاكرة يصحبهُ تغير في الشخصية. ولعل الذاكرة هي الشخصية او هي كل شيء غير مادي في الانسان كما ان الفيلسوف برغسن حديثاً في كتابهِ المادة والذاكرة

* * *

تأتي الآن الى الوساطة والوسطاء الذين كثرت الضجة حولهم في هذه الايام. قال الاستاذ جيمس ان حال الوسطاء مثل حال الاشخاص ذوي الشخصيتين المشار اليهم آنفاً لا فرق بين هذا الفريق وذاك الاَّ في ان الغيبوبة التي يقع فيها الوسيط لا تطول الاَّ بضع دقائق الى بضع ساعات. واذا تمكنت من شخص فقد في حالتهِ الطبيعية تذكر ما يحدث لهُ في حالة الغيبوبة

« فان الوسيط يتكلم وهو في حالة الغيبوبة ويكتب كأن شخصاً آخر هو الفاعل فيهِ وهذا الشخص قد يذكر اسمهُ وتاريخهُ وهو الذي يطلقون عليهِ اسم المرشد او الوازع Control في الزمن الماضي كان يقال ان هذا الشخص شيطان ولا يزال البعض يقولون انهُ شيطان . واما عندنا في اميركا فكان يقال انهُ من هنود اميركا او انهُ شخص يتكلم كلاماً رقاقياً بذيئاً ولكنهُ لا يؤذي احداً ويقال في الغالب الآن انهُ روح ميت معروف او غير معروف لدى الحضور

« والذين يفعلون افعال الوسطاء متباينون في ان لكل منهم شخصيتين تتناوبانهِ. وقد لا يكون في الوسيط آفة عصبية اخرى . وامر الوساطة هذه لا يزال غامضاً وقد شرع العلماء يبحثون فيها بحثاً علمياً . واوطأ انواعها الكتابة الآلية. واخفها ان يكتب الوسيط وهو يدري انهُ يكتب ويفهم ما يكتبهُ ولكنهُ يرى نفسهُ مجبولاً على الكتابة رغماً عنهُ. ويتلو ذلك ان يكتب وهو لا يدري انهُ يكتب بل قد يكتب وهو يقرأ كتاباً او يتكلم مع آخر. ومن هذا القبيل التكلم كأنهُ بالهام والضرب على آلات الطرب. والمتكلم والضارب يدريان ما يفعلان ولو لم يفعلاه عن قصد بل دفعاً لقوة تدفعهما الى فعلهِ . واعلى انواع الوساطة الغيبوبة التامة حين يتغير الصوت واللغة والحركات وينسى الوسيط عند ما يفيق كل ما قالهُ وفعلهُ وهو في الغيبوبة ولا يتذكر الاَّ حينما يعود اليها ثانية

« ومن الغريب ان كلام الذين يعاشرون هذه الغيبوبة يجري على نسق واحد تقريباً على اختلاف الاشخاص فالمرشد Quimby في اميركا اما انهُ روح رجل هندي فظاعي في كلامهِ الى حد الافراط يسمي المرأة سكواد والرجل براف والبيت وغوم (وهي اسماء المرأة والرجل والكوخ بلغة الهنود) او انهُ من اهل الادب فيتكلم بالفاظ فلسفية منمقة عن الارواح والوئام والجمال والشريعة والارتقاء والتقدم(١) كأن كاتباً كتب للوسطاء نسخة واحدة ادخلوها في كلامهم . فهل في الدنيا روح عام يؤثر في العقل الباطن تأثيراً واحداً . اما انا فقد اقتنعتُ مما شاهدتهُ مراراً عديدة في وسيطة وهي في حال الغيبوبة ان مرشدها يختلف عنها وهي في اليقظة فانهُ طبيب فرنسوي ميت وانا مقتنع انهُ ذكر اموراً واحوالاً متعلقة باقارب الوسيطة احياء واموات وباحوال اناس من الحضور في الجلسات والوسيطة لم تلقهم من قبلُ ولا سمعت اسماءهم . وانا اذكر رأيي هنا غير مؤيد بالدليل لا لكي اقنع احداً بهِ بل لاني واثق ان البحث في هذا الموضوع من اهم ما تحتاج اليهِ الفلسفة العقلية ولكي احمل واحداً او اثنين على الاهتمام بموضوع يأنف ادعياء العلم غالباً من النظر فيهِ »

هذا ما قالهُ الاستاذ جمس وهو صريح في ان الوسطاء من قبيل الاشخاص ذوي الشخصيتين اومن قبيل الذين ينوّمون بالاستهواء ويزاد تنويمهم حتى يبلغوا درجة الغيبوبة . وقد ذكر هؤلاء دوانيك في فصل واحد من كتابهِ المشهور في الفلسفة العقلية ولكنهُ استغرب جداً كون الوسيطة التي شاهدها كانت تعرف اموراً لا ينتظر ان تعرفها وهي تدعي ان لها مرشداً ترشدها روحهُ وهو طبيب فرنسوي

واكبر حجة يحتج بها المعتقدون بنجاة الارواح هي كون الوسيط يذكر اموراً لا ينتظر انهُ يعرفها ولا يعرفها اذا افاق وزالت غيبوبتهُ . ولا ينكرون ان اكثر كلام الوسطاء لغو او تضليل او لاصحة لهُ مطلقاً حتى ان الفريق الاكبر من المسيحيين يعتقد ان الناطق في الوسطاء ارواح الشياطين لا ارواح الموتى . وذهب بعضهم الآن الى ان الناطق في الوسطاء ارواح اناس ذهبوا الى

(١) (المقتطف) كالوسطاء الذين استنطقهم السر اربثر لدج

السماء ووصفوها كما توصف في الانجيل تماماً. اما نحن فالمشاهد التي رأيناها ظهر لنا منها ان الحضور توهموا انهم سمعوا اصواتهم واصوات بعض اقاربهم المتوفين وهم انما سمعوا الفاظاً غير واضحة يفهمها كل احد حسب ما هو قائم في ذهنه. فانا سمعناها معهم ولم نفهمها كما فهموها وبذلك تفسر اقوال الوسطاء الذين شاهدهم الاستاذ جس ثم كان الوسيط يذكره عن بعض الحضور وهو لا يعرفهم ولا يعرف اصواتهم. اما ما كان الوسيط يقوله عن اقاربه فمن معلومات محفوظة في عقله الباطن الذي اطلق عليه الاستاذ ميرس اسم Subliminal self اي تحت عتبة الشعور واطلق عليه شوبنهور وفون هارتمن اسم اللاشعور Unconscious يريد بذلك ان بعض الناس يسمعون ويقرأون عن امور كثيرة فترسخ في عقلهم الباطن ولكنها لا ترسخ او لا يبقى ذكرها في عقلهم الظاهر الذي يستولي عليهم وهم في حالتهم الطبيعية. فاذا مرضوا او ناموا بالاستهواء واصابتهم الغيبوبة تذكروا ما هو راسخ في عقلهم الباطن وذكروه. وهذا شأن السكارى والحشاشين الذين يخدّر المسكر عقلهم الظاهر فينتبه عقلهم الباطن ويجعلهم يتكلمون بامور لا يتكلمون بها في حالهم العادية. ومن هذا القبيل ما يصيب الخطباء والشعراء فانهم اذا تنبهت قرائحهم او عقولهم الباطنة افاضوا في الاقوال والاشعار بما يتعذر عليهم في حالهم العادية

ولذلك نجد ان الوسطاء الذين قاموا في اميركا في اواخر القرن الماضي كانوا يقولون ان مرشديهم ارواح من ارواح هنود اميركا فيتكلمون بلسانهم لانهم كانوا يذكرون ما قرأوه او سمعوه في صغرهم من اخبار الهنود وقصصهم التي رووها لهم مربياتهم او قرأوها في القصص المكتوبة عن هنود اميركا. والآن صار الوسطاء يذكرون اموراً علمية طبية او فلكية او رياضية او امور أدبية او ادبية او سياسية او اخباراً عن الحروب والمعارك حسب ما قرأوا او سمعوا او تصوروا ويعلقون ما يذكرونه بشخص يصح ان يعلق به ما ذكروه كأن يكون طبيباً او اديباً قسيساً او جندياً او غير ذلك

ولما كان الوسيط معرضاً للغيبوبة فقد تعتريه من غير سبب فينتبه عقله الباطن ويفكر في امور كثيرة ويستنتج نتائج معقولة من مقدمات معروفة فيستنتج

مثلاً ان الحرب تنتهي في اواخر سنة ١٩١٨ يفعل ذلك وعقله الظاهر غير عالم بما جال في عقله الباطن ثم اذا غاب وجعل يكتب وهو في غيبوبته كتب ما استنتجهُ عقلهُ الباطن فيأتي كتبهُ مع انهُ نتيجة معقولة وصل اليها كثيرون من العقلاء

ولا يخفى علينا ان بعض ما روي عن الوسطاء لا يعلل بما تقدم ولكن الذين فحصوا بعض الغرائب المروية وجدوا فيها بُعداً عن الحقيقة مقصوداً او غير مقصود وانها اذا ردّت الى حقيقتها زالت منها كل غرابة . وهذا كثير الوقوع في كل الاخبار والمعاملات فان زيداً يقصّ عليك خبراً تراهُ في غاية الغرابة يتجاوز المعقول ولدى البحث تجد ان عمراً كان مع زيد وشاهد ما شاهدهُ زيد تماماً ولكنك تجد خبرهُ عمّا حدث خالياً من كل غرابة . وكثيراً ما وقعت لنا حوادث من هذا القبيل فكنا نسمع اقوالاً من وسيط في حال الغيبوبة ونشاهد منهُ اعمالاً فلا نجد في اقوالهِ ولا في اعمالهِ شيئاً غير عادي ويكون معنا آخر فيروي عمّا رأى وسمع اموراً في حد الغرابة اما لقلة تدقيقهِ او لسبق انتظارهِ الطوارق او لميلهِ الى المبالغة فيما يرويهِ وكل ما تقدم يصدق على الوسطاء المخلصين لا على الخادعين عن قصد

ويخطئ من يظن ان تخطئة الوسطاء فيما يدّعون او فيما يدعيهِ المعتقدون بمناجاة الارواح مفادهُ نفي الروح والاكتفاء بالمادة . نعم اذا ثبت بالدليل القاطع ان مرشدي الوسطاء ارواح الناس معروفين من الموتى كان ذلك دليلاً قاطعاً على بقاء ارواح الموتى وبقاء مشاعرها من غير اجسام مادية وتأثيرها في بعض الاحياء. ولكن اذا لم يثبت ذلك بل ثبت انها من ارواح الشياطين كما يذهب فريق كبير من الناس او ان لا ارواح هناك بل كل ما يحدث من هذا القبيل انما هو من انتباه الوسيط الى محفوظات عقلهِ الباطن كما نعتقد نحن فلا يكون ذلك نافياً لوجود الارواح على الاطلاق لاسيما وان الذين يعتقدون ان الذي يتكلم بالسنة الوسطاء روح شيطان لا روح انسان هم اشد الناس اعتقاداً بوجود ارواح الموتى وخلودها

وعاد الاستاذ جمس فقال ان دعاوي بعض الوسطاء بحلول روح رجل من الاموات فيهم تظهر احياناً كثيرة واضحة البطلان وذكر مثالاً لذلك حادثة الفتاة لورنس ڤنوم وهي طويلة وربما اتينا على ذكرها في فرصة اخرى